

التربية الأسرية (المنزلية)¹

التربية الدينية ليست هي مسئولية الكنيسة وحدها، من جهة الآباء الكهنة، وخدام مدارس الأحد وفصول الشباب. وإنما هي أولاً قبل كل شيء هي مسئولية الأسرة. وعلى الأسرة أن تتعاون مع الكنيسة في هذا الأمر. وسأتناول معكم بعض نقاط في هذا الموضوع:

❖ أول نقطة هي الشعور بالمسئولية.

❖ يجب على الوالدين أن يشعرا بمسئوليتهما من جهة تربية أولادهما في كل مراحل العمر. فلا يلقيان المسئولية على الكنيسة، ويتخليان تماماً عن واجبهم.

فالأم مسؤولة عن ابنها، إذ استلمته كأشبينة له في يوم عيده لتربيه في خوف الله. والطفل موجود معها باستمرار منذ رضاعته حتى يكبر. وهي التي تعلمه الكلام، وتعامل معه. وهي مسؤولة عنه روحيًا، وليس فقط من جهة صحته وتغذيته ونظافته وملابسها..

❖ وحتى بعد أن يكبر ويدهب إلى مدارس الأحد. وأنذكر أنني قلت مرة لإحدى الأمهات: إن طفلك قد يقضي في مدارس الأحد ساعة واحدة في الأسبوع، ولكنه يقضي معك 167 ساعة في كل أسبوع.

❖ أذكر أنني حينما زرت روسيا سنة 1972 أثناء الحكم الشيوعي، قيل لي وقتذاك إن عدد المعتمدين ثلاثة مليوناً وقتذاك. ولم يكن يسمح للكنيسة بتربية الأطفال، وما كان الرجال (الآباء) متفرغين لذلك. فكان عباء تعليم الدين للأطفال واقعاً على الأمهات والجدات. وكن هن اللائي يعدهن الأطفال للعماد، ويعلمونهم الدين في البيت..

ويطيب لي أن أذكر أمثلة من الأمهات القديسات بين أطفالهن:

¹ مقالة لقداسة البابا شنوده الثالث التربية الأسرية (المنزلية) مجلة الكرامة 7 مارس 2003

❖ أذكر من بين هؤلاء يوکابد أم موسى النبي، التي تسلمت طفلاها من بنت فرعون لترضعه. وقضى معها ما يقرب من أربع سنوات أو خمس، ثم سلمته للأميرة ليعيش في قصر فرعون وسط عبادات كثيرة كانت تعرفها مصر القديمة، ولم تؤثر عليه بفضل تربية أمه له في سن طفولته المبكرة. ولم يحتفظ بإيمانه فقط، بل صار بطل الإيمان في جبله.

ويوكابد هذه العجيبة في تربية أولادها، كان من بناتها موسى النبي العظيم، وهارون رئيس الكهنة، وأختهما مريم النبية (خر 15: 20) التي كانت تحسن التسبيح. أي أم مثل يوکابد كان لها أبناء في روحانية أبنائها!.

نذكر أيضًا أم وحدة القديس تيموثاوس تلميذ القديس بولس الرسول، وأثرهما في تكوين إيمانه، إذ يقول له القديس بولس: "أَتَذَكَّرُ إِيمَانَ الْعَدِيمِ الرِّيَاءِ الَّذِي فِيكَ، الَّذِي سَكَنَ أَوْلًا فِي جَدِّكَ لُوئِيسَ وَأُمِّكَ افْنِيِكِي" (2تي 1: 5).

نذكر كذلك أم القديس باسيليوس الكبير، التي كان من أبنائها القديس باسيليوس رئيس أساقفة قيصارية كبادوكية، وأخيه القديس أغريغوريوس أسقف نيقص، وأخوهما القديس بطرس أسقف سبسطية، وأختهم القديسة ماكرينا المرشدة الروحية لأختها والتي صارت رئيسة دير.. أي أم مثل هذه يمكن أن تتجه أربعة من القادة والقديسين. لا شك أن تربيتها لهم كانت عميقة الأثر في حياة جميعهم، بل في حياة المجتمع عن طريقهم..

لعل إحدى الأمهات تقول لي إن نصيحتك جاءت متأخرة، فإن أبنائي قد كبروا وتزوجوا، وأنا أقول لها:

أمامك فرصة أن تقومي بنفس الرسالة الروحية مع أحفادك.

إنهم جيل جديد، وفرصة تمارسين فيها عملك مع الطفولة في تلقينها مبادئ الدين، وتنشئتها تنشئة روحية.

إن كنا قد ذكرنا واجب الأمهات، نعرض إلى واجب الآباء.

يقول رب في سفر التثنية "لتكن هذه الكلمات التي أنا أوصيك بها اليوم على قلبك. وقصها على أولادك وتكلم بها حين تجلس في بيتك.." (تث 6: 7)

فهل تنفذ هذه الوصية؟ وهل تقص على أولادك قصصاً من الكتاب، وتعلمهم وصايا الله وتعلمه؟

أم تقصير في ذلك كله؟!

عجب أن أطفالنا يرون أن مدرس الدين الذي يتلقون من فمه وصايا الله، هو في الكنيسة وليس في البيت! هو فقط الأب الكاهن أو مدرس مدارس الأحد، وليس الأب الجسدي الذي لا يسألونه في أمور دينهم، لأنهم لا يتوقعون منه جواباً!!

إن الأب عليه واجب ديني حيال أبنائه، وحيال أمهم أيضاً، لأن "الرَّجُلُ هُوَ رَأْسُ الْمَرْأَةِ" (أف 5: 1). (23)

أول واجب للوالدين في التربية الدينية لأولادهم هو القدوة.

فالأبناء يقلدون الآباء والأمهات ويتبعونهم، إن رؤوهم يصلون، سيصلون هم أيضاً. وإن رشمت الصليب، يرسمونه مثلهم. وإن ركعوا يركعون هم أيضاً. كذلك يقلدونهم في الكلام وفي نوعية الألفاظ، وفي الحركات، وفي التعامل. ويقلدونهم أيضاً في العطاء. وهكذا إن سلك الآباء في الفضيلة، يسلكون مثلهم.

وهكذا صدق من قال "إن الدين هو تسلیم، وليس مجرد تعليم" فانظروا ماذا يتسلم أبناؤكم منكم.

ذلك فالأطفال يحبون الحكايات. ويحبون من يحكى لها.

ويمكن أن يستخدم ذلك في أن تجلسوا إلى أطفالكم، وتقضون عليهم حكايات من قصص الآباء والأنبياء، ومن شخصيات الكتاب، ومن سير القديسين، وأبطال الإيمان، وسير الشهداء والرهبان والسواح، وقصص عن الفضيلة بأنواعها. بل حتى من قصص الحيوانات التي تغذي خيالهم، إن كانت

تحمل معنى ساماً، أو حتى تدل على نوع من الذكاء أو من الطرافة. وهناك قصص تغرس فيهم بعض المبادئ والقيم، وتشجعهم على عمل الخير.

وتقوا أن الأطفال يحبون القصص جداً ويطلبونها، ويلتقون حولها بإصغاء شديد. وحتى الكبار أيضاً يحبون الحكايات.. وإن لم تقروا على أطفالكم القصص المفيدة، سيتلقفون العالم ويحكى لهم أنواعاً أخرى قد تضرهم أو ترتعشهم من قصص الجان أو من الخرافات، أو يلتمسون القصص من الروايات التي تعرضها السينما أو التلفزيون..

فإن كنتم لا تعرفون قصصاً تحكونها، هناك قصص كثيرة نشرها الأستاذ جرجس رفلة، ومكتبة اسبورتنج، وجريدة وطني، والأستاذ الشaroni، وغيرهم. فاقرأوا واحكوا لأطفالكم.

وهذا الأمر يقودنا إلى نقطتين: إداهما الجلسة الروحية مع الأبناء. والأخرى هي ثقافة الآباء والأمهات.

فما أجمل أن يجلس أحد الوالدين مع أطفاله، جلسة محبة بعيدة عن الرسميات، يتداولون فيها الأحاديث، والحكايات، والأسئلة من جانب الأطفال، والإجابات من جانب الأب أو الأم. وتكون جلسة ممتعة يشترق إليها الأطفال ويتابعونها.

وكما كان الأب أو الأم على مستوى كبير من الثقافة، وعلى عمق في المعرفة، كانت الجلسة أكثر متعة، ولها تأثير أكبر في تشغيف الطفل أو الصبي أو حتى الشاب دينياً وروحياً.

لذلك نرجو من الوالدين أن يقرأوا ويحكوا لأبنائهم، وأن يتعلموا ليعلموهم. فيزداد الوالدان ثقافة، ويزداد أبناءهم معرفة بالدين، سواء على مستوى القصص أو المعلومات.

وهذا يجعلنا نعرض لموضوع مكتبة البيت.

والمقصود بها أن تكون مكتبة صغيرة على كافة مستويات السن: من الطفل الذى تتناسبه الصورة وتحتها سطر واحد بخط كبير، إلى الفتى والشاب، إلى مستوى الوالدين.

بالإضافة إلى الكتب الأساسية: كالكتاب المقدس، والأجنبية، والأصولية، ومردات الشamas، وكتب التراتيل.

ونشكر الله أن غالبية كنائسنا تلحق بكل منها مكتبة للبيع وأخرى للاستعارة تشمل العديد من الكتب. هذا وقد كونت لكم مكتبة للأطفال في منطقة الأنبا رويس، يمكن أن يضاف إليها كل جديد مفيد من الكتب النافعة للأطفال.

وعلى الوالدين في كل أسرة أن يقرأوا ليجدوا مادة روحية سهلة يتحدثون بها مع أطفالهم كلون من التسلية ومن التعليم.

هناك سن في حياة الطفل هي سن الحفظ.

وهي خلاف طفولته المبكرة، حيث يكون عقله مثل ريكوردر أو كمبيوتر جديد، مستعد أن تسجل فيه كمية كبيرة من المعلومات. فلا يصح أن تقوتكم هذه المرحلة من العمر، قبل أن يبدأ العالم في أن يشحن أذهان أطفالكم بالمعلومات التي قد تقيد وقد تضر.

❖ ول يكن لدى الوالدين منهج للحفظ بالنسبة إلى أبنائهم. منه حفظ آيات، وتراثي، وزماريم، وألحان.. بالتدريج، حسب مستوى السن.

❖ فمثلاً ممكن تحفيظهم آيات بالحروف الأنجذبية، كل آية تبدأ بحرف معين. ول يكن البدء بآيات على حروف اسم الطفل، ثم على حروف أسماء أخواته، واسمي والديه.

❖ وبعد ذلك آيات على أشياء في البيت مثل كتاب - قلم - كرسي - نور - مصباح - خبز - ماء - يأكل - يشرب - ينام.. إلخ. ونتمنى أن الطفل سيفرح بهذا. وبمحفوظاته يفاخر زملاءه.

❖ وبعد ذلك يحفظ الطفل آيات عن فضائل معينة، أو عن عقائد هامة وأسرار الكنيسة، بالتدريج أيضاً.

❖ وقد نشرت لكم كتاباً عن آيات للحفظ.

من التسليات النافعة في تربية أولادكم دينياً: الألغاز والمسابقات.

لأن فيها تنشيطاً لذاكرة الطفل ومحفوظاته ومعلوماته، واختباراً له، وفرحاً بمعلوماته. وحبداً لو كانت معها بعض مكافآت ولو رمزية.. وتكون هذه الألغاز مثلًا في الكتاب المقدس، وفي أسئلة عن العقيدة أو عن القديسين، أو عن شيءٍ من تاريخ الكنيسة. والذي سيعرفه الطفل في البيت، سينشره عند لقائه بأصحابه وزملائه في الكنيسة أو المدرسة أو النادي.

من التربية الدينية في محيط الأسرة، تعود الأبناء على الحياة الدينية.

❖ تعويدهم على التناول مثلاً، وحضور القداسات، والاشتراك في الألحان والتسبيحة، وفي الاجتماعات الدينية، وأنشطة الكنيسة.. مع تدريب الطفل على الصوم كلما ينموا في سنها.

❖ وإذا ذهب الطفل إلى مدارس الأحد، من واجب الأم أن تسأله عند عودته عن الدروس التي أخذها.. وتراجعها معه، وتجعله يلخص أو يعيد ما أخذه.. فإن هذا يساعدك على الالتفات والتركيز، حتى لا يخلو أمام أمه إن كان قد نسي ما تلقاه من الدروس.

❖ أيضاً يشجعه والده على استلام الألحان وحفظها، والخدمة كشمامس في الكنيسة. فإن هذا يحفزه على الاهتمام بالذهاب إلى الكنيسة والاشتراك في المردات، والتناول.

❖ وإن كبر، تشجعه الأسرة على الانضمام إلى فصول إعداد الخدام، تمهيداً لخدمته في مدارس

من المهم أضًا العادة المنزلة المشتركة.

والتسجيلات الصوتية للعظات والألحان يسمعها الأبناء مع آبائهم في المنزل، وفي العربية أثناء المواصلات، مع تعليم الأبناء الألحان، وتقديمهم للأباء الأساقفة لسيامتهم (أبسلتس) أي مرتلين.